الفصل الرابع

احترام منشأ الأفكار

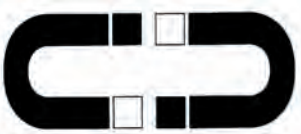

منذ أن كنت صغيراً عرفت القول المأثور: «لا جديد تحت الشمس» وقد فسرت هذا القول على النحو الآتي:

حيثما تسطع الشمس لا يوجد أفكار أصيلة حقاً. ليس مؤخراً على الأقل. واللغز هو أنه إذا لم يكن هناك أفكار جديدة حقاً، فما هي هذه الاختراعات كلها؟

ألم يخترع جوناس سالك لقاحاً جديداً تماماً قضى على المرض المخيف من على ظهر الأرض؟ وقد تسأل أليس Pod فكرة أصيلة أحدثت ثورة في عالم التسلية الشخصية وجعلت شركة Apple أكثر قوة؟

مبادئ عالمية:

لقد توصلت إلى فهم خاص بي لمعنى القول المأثور: «لا جديد تحت الشمس» وهو الآتي:

هناك قوانين أبدية تتحرك وتحكم الكون.

الأشياء التي تدعوها اختراعات وإبداعات هي اكتشافاتنا الإنسانية لتلك المبادئ التي تعمل من حولنا، التي نعرف كيف نسخرها ونديرها

obeikandl.com

لمصلحة إنسانية أعظم. وكم مرة يصح القول: إن اختراعاً لشخص ما يبني في الواقع على ألف اختراع سبقه، الـ ipod لم يمكن ممكناً دون أعداد لا تحصى من الاختراعات التي سبقته ودون وجود مبادئ معينة في الكيمياء والفيزياء لجعل هذه الأدوات تعمل كما تعمل الآن. إنه من التواضع الاعتقاد أن تعابيرنا عن العبقرية هي مجرد إعادة تفسيرات لمبادئ خالدة وعمل تأسيسي لعباقرة سبقونا، وهل يمكن لمؤسسة Apple الادعاء أنها اخترعت شيئاً جديداً تماماً؟ كلا لا جديد تحت الشمس. لقد اخترعت Apple عناصر جديدة لنقل أفكار خالدة في الكيمياء والفيزياء بطريقة تتيح لنا أن نحتفظ بالموسيقى ونعيد عزف ما يمتعنا منها. وماذا عن الموسيقيين الذين أوجدوا الموسيقى التي نريد سماعها؟ وأين ستكون شركة Apple مع جهاز العزف المحمول ipod دون ألحان؟

لمن هذه الفكرة؟:

الرسالة هنا هي، لمن هذه الفكرة؟ أفترض أنه نوع من الغطرسة الزعم أنه لدي فكرة جيدة لدرجة أنها تلغي فكرتك. فكرتي قد لا تكون فكرتي على الإطلاق. ربما علي أن أقدم لحقي في الفكرة الجديدة بهذا التصريح: «أود أن أشارك بفكرة خطرت لي استناداً على كل الحكمة التي شاركني بها طوال حياتي أساتذتي ـ المؤلفون الذين قرأت كتبهم ـ والإلهام الذي أتى من مصادر كثيرة، أصدقائي وزملائي في العمل الذين ساعدوني كي أتعلم منهم وهكذا، حالما نصل إلى هذا التقييم الجوهري للحكمة المشتركة التي تفيدنا جميعاً عبر الزمن ومن مصادر كثير، عندها سنكون أقل ميلاً إلى حماية أفكارنا بهذه الشدة أو أن نكون على جانب كبير من السرعة لنحاجج في مزايا (فكرتي) ضد (فكرتك) الأفكار

العظيمة تصبح أفكارنا المشتركة. وماذا يقول تفكيرنا عن الصراع؟ يقول لنتجاوزه. كن ممتناً. استمع إلى أفكار الآخرين، تشرَّب الحكمة. لا تقلل من قيمة ما يبدو أنه أفكار جديدة غريبة حتى تفهم منشأها الحقيقي والهدف المقصود منها. إذاً من أين أتت الأفكار العظيمة؟»

لو كنت ستيف جوبز وأستلم جائزة العقد الأول من الألفية الجديدة لأكثر الأجهزة الإلكترونية إبداعاً في عالم الاستهلاك، فأنا سأبدأ خطاب قبول هذه الهدية بقائمة تدرج أسماء آلاف عدة من عظماء المنظرين، وعلماء الفيزياء، والكيمياء والموسيقيين ومهندسي التصنيع والمهندسين الإلكترونيين وباحثي التسويق وصنّاع المنتجات التنافسية (بما فيها سوني ووكمان) والكثير من أولئك الذين تمتد أفكارهم واختراعاتهم على مدى مئات السنين من التفكير والتجارب لجعل الصوت المسجل فكرةً قابلة للحياة. ولا تنسى مصمم غرامافون (الحاكي) آرسي إيه فيكتور.

ربما يقول ستيف جوبز: «أشكر كل هؤلاء لإيجاد الأساس الذي بنى عليه ipod (الجهاز الموسيقي النقال)».

من مدين لمن؟

علمني أحد المرشدين أن واحدة من أكثر التوجهات العقلية إثارة للمشكلات التي يمكن لشخص ما أن يتصف بها هي الآتية: «العالم مدين لي.. شركتي مدينة لي.. أسرتي مدينة لي. مثل هذا الموقف لا يؤدي إلا إلى الغطرسة وجنون العظمة. وتابع هذا المرشد وتحداني أن أمضي وقتاً متأملاً في أولئك الذين «أعدّ نفسي مديناً لهم»، والذين قد لا أتمكن أبداً من إيفائهم حقهم لإسهاماتهم في نجاحي وسعادتي». ثم سألني «من علمك

القراءة؟» ماذا كانت قيمة ذلك التعليم؟ إذا كان عليك أن تحرر شيكاً لمعلمة المرحلة الابتدائية بقيمة صبرها في مساعدتك على تعلم القراءة فما هو مبلغ الدولارات الذي سيظهر على الشيك؟ وافتراضاً أن معظمنا كان لديهم والدان وأجداد وعملوا على تغذيتهم خلال طفولتهم، فكم نحن مدينون لهم؟ كم أنت مدين لصاحب العمل الذي استأجرك وأنت ما زلت غضاً بعد مغادرة مدرستك وقبل أن يكون لديك أي تجربة أخرى؟ وإذا نجوت من مرض يهدد حياتك، فكم أنت مدين للإنسان الذي ساعدتك معرفته الصحية والطبية على إنقاذ حياتك؟ ستضحك! لا تفعل!

في كل مرة تفتح صنبور مرش الماء [الدوش] فإنك تحظى بخدمة عظيمة في موضوع الصحة الشخصية والراحة والنظافة العامة. كم أنت مدين لأولئك الذين بنوا نظام الصرف الصحي تحت شوارع المدينة التي نعيش فيها؟ قد تكون حجتك أنك تدفع فواتير الماء، ومع كل هذا ننسى جميعاً جهد طاقم البناء الذي كان يعمل في طقس شديد البرودة وهم غارقون حتى ركبهم في الوحل وربما كانوا يتقاضون دولاراً واحداً في الساعة قبل سبعين أو ثمانين عاماً، لقد حفروا الخنادق لخطوط الصرف الصحي التي نستخدمها الآن. الآن فكر ملياً بالمعرفة والحكمة التي تستطيع أن تنسبها لنفسك وتدعي ملكيتها.

ضع قائمة بالذين أسهموا بتلك المعارف كلها. لتشمل القائمة هذه الفئات:

- الوالدان، الأجداد، الأوصياء، الأنسباء.
- الزوجات والأزواج وشركاء الحياة.

- المدرسون
- مؤلفو الكتب التي قرأتها.
- واضعو البرامج التلفازية التي شاهدتها.
- مصممو مواقع الإنترنت التي تستخدمها.
- المرشدون ومصممو برامج التدريب.
- زملاء العمل.
- الجيران الذين أعاروك أدوات وعلموك كيف تستعملها.
- القادة الدينيون والوزراء من كل نوع.
- الأطباء والصيادلة وأطباء الأسنان.
- المدربون والمستشارون من كل نوع.
- قادة المجتمع ذوو الرؤية والشعور الحقيقي بالمسؤولية المدنية.
- العظماء والفلاسفة والقادة الذين انسابت حكمتهم عبر العصور ووجدت طريقها إلى تفكيرنا جميعاً.
- المصادر الروحية التي تعتمد عليها.

إذاً وبعد كل ذلك كم من الأفكار هي حقاً أفكارك؟ إنك الناطق باسم كل أولئك الذين وضعتهم في القائمة، وتمثل أفكارك الحكمة التي اكتسبوها وشاركوك بها خلال السنين. احترم شلال الحكمة المنهمر هذا والذي أسعد حياتك.

obeikandl.com

يعود كثير من النجاح في الحياة إلى أساسيات خالدة تمثل الحكمة الجماعية للعصور. دائماً انسب الفضل لذوي الفضل. الرضا الذي يأتيك من الاعتراف بالآخرين سيفوق أي رضا قد يأتي من الإثبات كم أنت ذكي. الأساس هو أنك أذكى ما تكون عندما تشارك الآخرين السمعة والفخر.

ما علاقة احترام منشأ الأفكار بإدارة الصراع وتحويل النزاع إلى إبداع؟

إن له علاقة في التواضع، عندما نتعلم الاعتراف بإبداع الذين حولنا. عندما يكون لدينا أنا وأنت قدر من التواضع فسنكون أقل ميلاً للتشكيك بمزايا أفكار قد تظهر في البداية أنها موضع تنافس. إننا نصبح أميل لأن نرى الميزة التي يمكن أن توجد في تنوع الأفكار التي لو تآلفت معاً لخلقت منظوراً أقوى وأكثر شمولية، عندها نصبح أدوات ربط وتجميع للأفكار.

obeikandl.com